اما اليك فلا قال فسل ربك فقال علمه بحالي يغنيني عن سوالي قال
حب السلامة يثني هم صاحبه عن المعالي ويغري المرء بالكسل
اللغة الحب تقدم السلامة هي الامن من الخوف يثني يعطف ويكف
الهم العزم والارادة وهو المراد هنا ومعناه ايضا الحزن المعالي الرفعة
والشرف الاغرا هو ان تولع الانسان بشيء وتهيجه وتحثه على
المرء الرجل الكسل التثاقل عن الامر والمعنى ان يقول لصاحبه
حب السلامة يعطف عزم صاحبه عن اكتساب المعالي ويغري
الانسان بالكسل كانه لما عرض على صاحبه المرافقة الى الحي الذي
وصفه وجده متثاقلا عن موافقته غير قابل على التوجه معه
الى الحي والمشاركة له في المشاق والاخطار فاخذ يعظه بمثل هذا
الكلام هذا ان قلت ان الكلام لصاحبه وان قلت انه قد قطع
الكلام عنه واخذ يخاطب نفسه فهذا الذي يسميه ارباب
البلاغة التجريد وهو ان يخاطب المتكلم غيره وهو يريد نفسه
والغرض ان السلامة في الخمول خير من العطب في المعالي بمانع الوصل
بالصدور وقد رضي بالخمول جماعة من الروسا والاكابر المتقدمين
في العلم والمنصب وفارقوا مناصبهم واخلوا الدسوت من تقدمهم
منهم الامام مجد الدين ابو السعادات المبارك ابن الاثير صاحب
جامع الاصول والنهاية في غريب الحديث وغيرهما اتصل بخدمة كثيرة
بخدمة عز الدين ابي مودود صاحب الموصل وتولى ديوان رسائله
الى ان مات ثم خدم نور الدين ارسلان شاه وحظي عنده وتوفرت
حرمته لديه فلم يزل الى انه عرض له مرض كف يديه ورجليه فمنعه

من

٢٢

من الكتابة مطلقا فانقطع في منزله وجاء الاكابر يترددون اليه فحضر
اليه من التزم بعلاجه واقامته من مرضه فلما طلبوا قارب البر واشرف
على الصحة دفع اليه ذهبا وقال له امض في سبيلك فلامه اصحابه على ذلك
فقال لهم انهم متى عوفيت طلبت والزمت بالخدمة وليس ذلك مرادي
وهذه الحالة احب الي فانني توفرت على نفسي ومطالعة ما اختاره من
العلوم وانا معهم الجانب عندهم لا اشاركهم في سلطانهم ولا ادخل
معهم فيما يغضب الله ويرضيهم والرزق لا بد منه فانظر كيف اختار
العطلة مع عطلة جسمه على المنصب وفي هذه الحالة جمع كتابه جامع
الاصول وغيره وهذا الحسن ابن علي ابن ابي طالب رضي الله تعالى عنهما
قال لمعاوية ان علي دينا فاوفه عني وانت في حل من الخلافة فاوفى
دينه وترك له الخلافة وقد فعل كذلك جماعة من الاسلاف
قال بعض العارفين اول ما ينتزع الله من قلوب الصديقين
حب الرياسة قال ابو اسحاق ابراهيم الغزي الجد سهل والطريق
اليه بلا جاه وعز قال الشاعر شعر

بقدر الصعود يكون الهبوط ● فاياك والرتب العاليه
وكن في مكان اذا ما وقعت ● تقوم ورجلاك في عافيه

وعلى الجملة فالزهد او تمسك العقل بعروة الوثقى ولهذا افتى الفقها
بانه لو اوصى بثلث ماله لاعقل الناس انصرف الى الزهاد والسلامة
كثر مفتاحه الزهد وكلما تراه بعينيك رهين الزوال ومقدمات
نتيجتها العدم وهذا الترك تقدم كله يخالف راي الطغرائي في البيت
فان ارادة السعي والجد والانتصاب لتحمل الاهوال في تحصيل

Copyright © King Saud University